



ملف العدد

## قبائل "صنهاجة سراير" و تاريخ الريف المعاصر

من خلال حوار مع:

أحمد المرابط: مرافق محمد بن عبد الكريم الخطابي بالقاهرة

و ابن أحد وزراء حكومة الريف

حاوره: شريف أدرداك

1- أولا نرحب بالمناضل أحمد المرابط، و نشكركم على تلبية دعوة مجلة "تيدغين" للأبحاث الأمازيغية و التنمية. نود منكم كلمة تعريفية عنكم ليتعرف القراء على أحمد المرابط المناضل و الإنسان.

أنا أحمد المرابط، ازددت سنة 1939 بزاوية سيدي يوسف بجماعة إمرابطن حاليا بإقليم الحسيمة، لكن في الأوراق الرسمية مكان ازديادي هو تطوان. والدي هو أحمد امحمد أغرود و قد كان أمين الأمناء في حكومة جمهورية الريف.



- والدكم كان أحد أعضاء حكومة محمد بن عبد الكريم الخطابي. ماذا يمكنك أن تقول لنا

عنه؟

لقد كان والدي رحمه الله رجلا طيبا و أمينا، و أعتقد أن هذه الصفات أهلتة ليكون أمين الأمناء في حكومة الريف. أتذكر أنه كان يتقاضى 30 ريالاً عن عمله كأمين للأمناء في حكومة الخطابي، و قد ذهب مرة عند وزير الاقتصاد عبد السلام الخطابي الذي كان يعتبر منظر و فيلسوف الثورة الريفية لأخذ راتبه. بادره عبد السلام الخطابي بالسؤال عن أحوال مالية الجمهورية، و بعد ذلك استفسره عما إذا كان يريد شيئا منه، فقال له والدي بأنه جاء لأخذ راتبه. فما كان من عبد السلام الخطابي إلا أن رد عليه قائلا بأنه إن كان يمنح راتباً للبعض فهذا راجع لعدم اقتناعهم كلياً بالثورة و اندماجهم فيها، أما أن يمنح راتباً لوالدي فهذا غير وارد لأنه واحد من أبناء الثورة المؤمنين بها و المنخرطين فيها، فلا أحد يأخذ أجراً عن واجب يقوم به، فما كان من والدي رحمه الله إلا أن امتنع عن أخذ راتبه من ذلك الحين.

- ماذا عن والدتكم رحمها الله؟

كانت كأغلب نساء الريف الشريفات. لقد حكّت لي مرة بأنه في أحد الأيام سرق أخي الكبير مفتاح المخزن، الذي كان والدي رحمه الله يخبئ فيه مال الثورة الريفية، فأخذ بعض النقود (مبلغ بسيط)، و عندما علمت أمي رحمها الله بالأمر عاقبته عقاباً شديداً، بعد أن استرجعت منه المبلغ المسروق، لأنها كانت تخاف من عقاب الله و سخطه خصوصا و أن المال يخص المجاهدين الذين يرابطون في المعارك.

لقد كانت والدتي تملك لباساً واحداً يسمى "تايدوارث"، و كانت تمشي حافية القدمين كحال جميع نساء الريف في تلك الحقبة.



### - ما مصير عائلتكم بعد استسلام الخطابي في تاركيست سنة 1926؟

بعد استسلام الخطابي، هربت العديد من العائلات خوفا من انتقام الاسبان فسمي العام ب"أسكنا س ن تاروليوين" أي عام الهروب. لقد هاجرت عائلتي راجلة إلى فاس فبقيت في ضواحي المدينة تحت أشجار الزيتون دون أن تقدم لها أية مساعدة أو إعانة، لأن الفاسيين كانوا يجزمون بأن الريفيين خارجون عن طاعة المخزن و هم خونة.

بعد عام من مكوث العائلة بفاس، كانت العودة إلى مدشرنا بزاوية سيدي يوسف، لكن من دون الوالد الذي بقي في فاس من أجل الدراسة بالقرويين لمدة تقارب خمس سنوات. فاكتشفت العائلة بأن ممتلكاتها قد صودرت من قبل الاسبان، الذين صادروا أملاك جميع العائلات التي فرت بعد استسلام الخطابي. لقد كنا نضطر لكراء أراضينا من أجل استغلالها في الفلاحة، و قد بقينا على هذه الحال مدة طويلة إلى أن استطعنا استعادة ملكية أراضينا، بعد أن عطف مراقب اسباني شاب على أخي الذي ذهب إليه ليشتكى من شيخ المدشر.

### - هل يمكنكم أن تحدثونا عن مسيرتكم الدراسية و المهنية؟

التحقت لأول مرة بالمسيد في زاوية سيدي يوسف، ثم انتقلت للعيش بتطوان رفقة أخي الذي كان يزاوّل التجارة هناك. بتطوان التحقت بمسيد آخر قبل أن ألتحق بالمدرسة الأهلية سنة 1950 التي كنا ندفع فيها درهمين و نصف شهريا (5 درو). بعد اجتيازي لامتحان نيل الشهادة الابتدائية بهذه المدرسة رسبت، فالتحقت بمدرسة مولاي الحسن التي كان يديرها المرحوم الصديق شعيب الذي كان ينحدر من نفس مدشري، و هو الذي غير اسمي العائلي في الاوراق الرسمية من أكرود إلى المرابط. بعد نيلي للشهادة الابتدائية اجتزت بنجاح امتحان الالتحاق بالثانوي، لأدرس بالمعهد الرسمي للدراسات الثانوية بتطوان المسمى حاليا ثانوية القاضي عياض، و قد كانت الثانوية



الوحيدة في منطقة الحماية الاسبانية شمال المغرب، لتنشأ بعد ذلك ثانوية جابر بن حيان التي كانت تقنية. و بعد أربع سنوات من الدراسة حصلت على شهادة بكالوريا الوضع القديم ( الشهادة الاعدادية حاليا).

في سنة 1957، اعتقلت مع سبعة أشخاص من الريف في تطوان. استنطقني المدير العام للأمن بتطوان على أساس أن والدي كان قائدا مع الأسبان أي خاننا للمغرب، و أننا كنا نسعى لتأسيس جمهورية شمال المغرب، ففندت ذلك ليتم إطلاق سراحي مساء نفس اليوم، في حين بقي السبعة الآخرون مدة طويلة بالسجن و عذبوا كثيرا.

بعد مدة، و بينما أنا مار من شارع الجنرال فرانكو (محمد الخامس حاليا) بتطوان، ناداني المدير العام للأمن الذي كان جالسا بالمقهى، و عرض علي أن أصبح كوميسيرا و طلب مني أن أمر عليه بالمكتب في المساء. عندما ذهبت إلى مكتبه سألني عن تواجد حدو أبرقاش بتطوان ففندت ذلك، علما أن أبرقاش كان معي في الغداء و تناولنا اللوبيا معا. فأمرني أن أكتب تقريرا تؤكد فيه ان أبرقاش لا يتواجد بتطوان... لقد خرجت مهزوزا نفسيا من الكوميسارية في ذلك اليوم المشؤوم، و عرفت إحساس الإرهاب و الخوف الذي يعيشه العاملون في الأمن.

لحسن الصدف التقيت بأصدقاء لي أخبروني بأننا قد حصلنا على منحة دراسية في مصر. و لكي اهرب من العمل كوميسيرا سافرت على متن أول باخرة إلى مصر. فكانت الرحلة من طنجة إلى برشلونة على متن باخرة فرنسية، ثم من برشلونة إلى الاسكندرية على متن باخرة تركية.

عند وصولي للقاهرة، التحقت بمدرسة الفسطاظ لأدرس بها مدة سنة كاملة و أحصل على البكالوريا (الثانوية العامة) سنة 1958. لألتحق بعد ذلك بجامعة القاهرة و أدرس الفلسفة و علم الاجتماع بكلية الآداب و احصل منها على الإجازة سنة 1962. بعد ذلك، عدت إلى تطوان و اشتغل بتدريس الفلسفة بثانويات المدينة كما عملت لمدة بنباية التعليم لتطوان.



2- كما تعلمون فإن الريف كلمة ذات دلالات عميقة، هل يمكن لنا أن نعرف ما هو مفهوم الريف بالنسبة لأحمد المرابط؟

الريف لغويا يطلق على البادية في كل أرجاء العالم، إلا أنه يطلق استثناء على منطقة شمال المغرب التي تمتد من مدينة القصر الكبير إلى نهر ملوية. و أنا أومن و أدافع عن فكرة الريف الكبير و حق سكان هذه المنطقة في تسيير شؤونهم في إطار جهوية سياسية.

3- بحكم قربكم من المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي، هل مفهوم الريف الذي تتبناه هو نفس مفهوم الريف لدى الأمير؟  
أكيد، و هو كان يسميه الريف السياسي.

4- هل كنتم تعرفون أو تسمعون عن قبائل "صنهاجة سراير"؟

طبعاً، فاهتمامي بتاريخ الريف المعاصر و خصوصاً ثورة محمد بن عبد الكريم الخطابي حتماً علي أن أبحث في تاريخ "صنهاجة سراير" لأنها جزء من الريف و فاعل أساسي في حرب الريف التحريرية. و هناك صديق لي من فاس ملم و مهتم بتاريخ "صنهاجة اسراير" اسمه محمد الطاهري، يملك مكتبة عن الريف لا تقدر بثمن.

5- هل سبق للأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي أن حدثكم عن علاقته بمنطقة "صنهاجة سراير"؟

أكيد، اعتقد انه شاهد سكان صنهاجة سراير عند استسلامه بتاركيست، و قرأ في عيونهم غصة الانكسار أمام العدو لكن لم يكن بوسعه أن ينتفض لأنه كان محاصراً من كل الجهات. فلما نزل



الأمير بتاركيست طلبت منه قوات الاحتلال أن يعلن نهاية الثورة لكنه رفض رفضا باتا، لهذا عجلوا بنقله إلى تازة.

6- حسب معلوماتكم و بحكم علاقتكم المباشرة بالأمير الخطابي، كيف كان تفاعل سكان "صنهاجة سراير" مع حرب الريف التحريرية؟

من المؤكد أن القبائل كلها تكاملت فيما بينها، فلم تكن هناك مشاكل في صنهاجة اسراير فقد كانوا من الأوائل الذين انخرطوا في الثورة، و حسب معلوماتي كانت هناك مشاكل في غمارة. فصنهاجة سراير لم تكن حاضرة في البيعة الأولى لكنها حضرت في البيعة الثانية للأمير. بعد ذلك أذعنت 66 قبيلة في الشمال للأمير و انخرطت في الثورة الريفية.

7- في نظركم، لماذا اختار الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي الاستسلام بتارغيست حاضرة صنهاجة سراير عوض الاستسلام بأجدير؟

أعتقد أن السبب راجع لكون أجدير كانت مطوقة من طرف الاسبان، فيما كانت تركيست محاصرة من طرف الفرنسيين، لهذا فإني أرجح أنه لو كان قد استسلم للاسبان لقتلوه هو و عائلته انتقاما منه، لهذا فكر في الاستسلام للفرنسيين. وقد لعبت الزاوية الوزانية، المتواجدة بمدشر سنادة في قبيلة آيت يطف، دورا هاما في استسلام الأمير للفرنسيين بتاركيست، حيث عمل "الشريف" احميدو الوزاني دور الوسيط نظرا لعلاقاته الجيدة مع المسؤولين الفرنسيين.

8- علاقة بحرب الريف، ماذا تقولون عن دور الزوايا عموما و الزاوية الخمليشية الموجودة بصنهاجة سراير خصوصا؟

جل الزوايا كانت تحت عباءة الاستعمار، غير أن الزاوية الخمليشية لعبت دورا هاما خلال حروب الريف التحريرية، نظرا لمكانتها الرمزية بمنطقة صنهاجة سراير، حيث كانت تمثل سلطة المخزن



محليا كما أنها ساهمت في تأطير الصنهاجيين دينيا، مما جعلها محل ثقة لدى جل الصنهاجيين الذين أذعنوا لها خوفا منها و تبجيلا لها. فمحمد الكبير لعب دورا محوريا خلال ثورة الريف هو و أحد أبنائه، لكن بعد استسلام الخطابي مال الخمالشة و جل الزوايا لجهة الاسبان حيث أصبحوا عملاء للاستعمار.

9- أنتم تعلمون بأن قبائل صنهاجة سراير واصلت المقاومة رغم استسلام الأمير بتاركيست في 26 ماي 1926، حيث دارت معارك ضارية بتاغزوت و آيت احمد، قبل أن يضع صنهاجيو الريف (إصنهاجن) السلاح منتصف 1927، ليكونوا بذلك آخر القبائل المستسلمة بالريف. هل هاته المقاومة كانت بعلم و بمباركة الأمير الخطابي؟ أم أنها تنم عن وعي لدى سكان صنهاجة سراير بضرورة مواصلة المقاومة لأنها مشروع شعبي لا يرتبط بشخص محمد بن عبد الكريم الخطابي فقط؟

أنا أجزم بأن استمرار قبائل صنهاجة سراير في المقاومة بالرغم من استسلام الأمير ينم عن وعيهم بكون المقاومة مشروع شعبي غير مرتبط بشخص واحد (أي الامير الخطابي). فمولاي موحد عندما استسلم بتاركيست لم يأمر المجاهدين بالاستسلام أو تسليم السلاح و لم يصدر أي بيان، فقد كان استسلامه استسلاما شخويا حقنا لدماء الريفيين التي استباحتها اسبانيا و فرنسا.

لقد كانت الساكنة واعية بخطورة المشروع الاستعماري، الذي كان يهدف لتغيير معالم حياتهم الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية و الدينية... لذلك توحدت جل القبائل الريفية لمواجهة المستعمر تاركة خلافتها و الثأر الذي كان بينها، لأن الخطر الأجنبي أقوى كان من تلك الصراعات القبلية.



كما أن الموقع الجغرافي لمنطقة صنهاجة سراير المتواجدة بالريف الأوسط الأعلى، ساهم في استمرار تلك المعارك بالرغم من استسلام الأمير، حيث التجأ إليها بعض القواد الورياعليين أمثال موح أزذاذ، الذي قاد المجاهدين بتلك المنطقة إلى غاية استشهاد، ليتم دفنه بمكان قرب سيدي مسكين يتواجد بين قبيلتي آي بونصار و آيث احمد.

إضافة لصنهاجة سراير، فقد دارت معارك أخرى بمنطقة جبالة بقيادة القائد الورياعلي احمد بودرا و القائد الجبلي خريرو، حيث كبداوا الاسبان خسائر فادحة قبل أن يستشهد القائد خريرو قرب مولاي عبد السلام، فيما تم إلقاء القبض على القائد احمد بودرا الذي سجن خمس سنوات قبل أن يتم تعيينه قائدا بأجدير من طرف الاسبان.

10- قبائل "صنهاجة سراير" تعرضت بدورها للقصف بالغازات السامة، لكن نلاحظ بأن الأصوات التي تطالب بجبر الضرر تحصر المناطق المتضررة في قبيلة "بني ورياغل" فقط. ما رأيكم في الموضوع؟

أتمنى من الأشخاص الذين يشتغلون على ملف الغازات السامة أن يكونوا أكثر واقعية، و يحددوا الصفوف من أجل الدفاع عن هذا الملف الشائك بدقة على أسس تاريخية و علمية. فإسبانيا لم تقصف "بني ورياغل" فقط، فقد بدأ القصف بالغازات السامة في "تفرسيت" ليشمل بعد ذلك جل القبائل المتواجدة بجمال الريف خصوصا قبيلة "أنجرة"، التي عانى سكانها كثيرا من آثار هذه الغازات السامة.

لقد كان المستعمر يقصف الاسواق ليسقط أكبر عدد من الضحايا، فبمنطقة صنهاجة سراير تم قصف سوق إعمورن بتاغزوت يوم الاثنين، سوق ثلاثاء كتامة، سوق تركيست و سوق إمكزن بقبيلة آيث احمد يوم الاربعاء، و سوق الغبار يوم الأحد على الحدود بين قبيلتي آي بونصار و زرقت.



خطورة هذه الغازات السامة كانت تتجلى في تأثيرها الانى على السكان، و ما لا يعلمه الكثير هو ان الامير الخطابي توفي جراء اصابته بالسرطان، و أكبر عدد من الوفيات جراء هذا المرض الخبيث تتواجد بشمال المغرب، لهذا وجب على المشتغلين على هذا الملف أن يركزوا في عملهم على إبراز العلاقة السببية بين مرض السرطان و الغازات السامة بطريقة علمية.

11- نفس الشيء بالنسبة لمشروع المقاومة و فكر الأمير الخطابي، فالنخبة التي تقدم نفسها على أنها تدافع عن مولاي موحد و فكره تحصر أنشطتها في الحسيمة و محيطها (أجدير، إمزورن، بني بوعياش، بني حذيفة...)، و في حالات نادرة بالناظور و تمسمان. ألا تعتبرون هذا تبخيسا لمشروع الأمير التحرري؟

فبالنظر لعيشي مع الأمير لفترة معينة بالقاهرة و اطلاعي على مقالات لصحفيين دوليين و قراءتي لكتب عديدة عنه، فلا يمكنني أن أقول سوى أن الخطابي رجل كوني لا يمكن حصره في رقعة جغرافية أو قبلية ضيقة، لهذا فإن أكره شيء لدي هو سماع كلمة عبد الكريم الريفي أو الورياغلي، فهذا تقزيم لزعيم من طينة الخطابي.

جل الباحثين الأجانب قدموا مولاي موحد كشخصية مغربية أو مغاربية أو مسلمة و منهم من ذهب لاعتباره شخصية عالمية، غير أن بعض النشطاء المحليين المتشبعين بالفكر القبلي يقدمونه على أساس أنه زعيم ريفي أو ورياغلي معتقدين بأنه بقولهم يعطون قيمة له، لكن في الحقيقة هم يبخسون من قيمة هذا البطل الذي عبر فكره الحدود. هذا الامر يتم استغلاله من قبل النظام، الذي مازال مستمرا في عدم اعترافه بما قدمه هذا البطل رفقة المجاهدين، من أجل تحرير شمال افريقيا من الاستعمار.



12- هناك محاولات من البعض لربط مشروع المقاومة التي قادها محمد بن عبد الكريم الخطابي بمشروع قبلي ورياغلي. هل يمكن لمرافق الأمير بالقاهرة أن يفند أو يؤكد لنا هذا الطرح؟

لو كان مشروع الأمير قبليا لقبل عرض اسبانيا ليكون الحاكم العام لشمال المغرب، فقد حكي لي بعظمة لسانه بأنه بقي ثلاثة أيام يفكر في هذا العرض إلا أنه رفضه في الأخير.

لتفهم أكثر، فقد حكي لي الأمير أن أحد المسؤولين الفرنسيين كان يصيح بالسجن الذي وضع فيه قبيل نفيه لجزيرة لاريونيون، حيث كان يردد: أين عبد الكريم؟ بأعلى صوته، و عندما دخل عليه و وجد أمامه انسانا أمازيغيا بسيطا قال له: هل أنت هو عبد الكريم؟ ليجيبه الأمير بنعم، فقال له المسؤول الفرنسي لقد كنا نستعد للرحيل من الجزائر. هذه الحادثة تبين لك أن فرنسا فهمت أن الخطابي يملك مشروعا تحرريا شاملا و ليس قبليا، لهذا تدخلت للقضاء عليه بعدما حقق انتصارات مبهرة على اسبانيا. إضافة لذلك، فقد قام الخطابي لحظة وصوله للقاهرة سنة 1947 بتأسيس ما يسمى بلجنة تحرير المغرب العربي، في إشارة واضحة لمسعاة نحو تحرير شمال افريقيا كلها من الاستعمار.

13- إن كان هذا خطأ، فلماذا كان اغلب وزراء حكومة الريف من قبيلة بني ورياغل، و كذلك أغلب المسؤولين؟ حتى أن محاكم تارغيست و كتامة و تبرانث بصنهاجة سراير كان يشرف عليها مسؤولون من قبيلة "بني ورياغل". هل الخطابي لم يكن يثق في رجال القبائل الأخرى؟

أعتقد ان الأمر راجع لمسألة الثقة. فكأي زعيم فإن الخطابي اعتمد على رجال ثقة كانوا قريبين منه لهذا فإن جل المسؤولين في حكومته و نظامه كانوا ينحدرون من قبيلة بني ورياغل.



14- مولاي موحد قال بأنه تلقى طعنة من المقربين و أن الاستعمار لم يهزمه، بل أصدقاء الأمس هم من خانوه. هل هذا الأمر صحيح؟

لما انتصرت ألمانيا النازية على فرنسا و دخلت باريس، قاموا بتنصيب الماريشال بيتان كرئيس لحكومة فيشي، كان الخطابى فى جزيرة لارينيون، و قد حكى لى أن أحد المسؤولين الفرنسيين قدم إليه و طلب منه أن يقوم بتصريح يقول فيه بأن الماريشال بيتان هو المسؤول عن سقوط ثورة الريف، فأجابته الخطابى بأن بيتان و جيشه لم يهزموه، بل الخيانة التى تلقاها من أبناء جلدته هى من تسببت فى نهاية الثورة الريفية.

15- ألا تعتقدون أن اختيار الأمير مولاي موحد لأجدير كعاصمة لجمهوريته كان خطأ استراتيجيا لأن أجدير كانت مجرد قرية فى تلك الفترة، فى حين كان عليه إعلان تطاون (تطوان) عاصمة له، كى تكون هدفا للتحرير كما تفعل جل الحركات التحريرية و الدول الناشئة؟

لقد كانت تطوان فى تلك الفترة عاصمة للمنطقة الخليفية، و بها كان يتواجد خليفة السلطان "المهدي" إضافة للعلماء و العائلات التطوانية الذين كانوا كلهم ضد المقاومة، حيث استصعدوا فتاوى تحرم الجهاد ضد الاستعمار، و بذلك كانت البيئة هناك غير صالحة لكى تكون تطوان عاصمة للمجاهدين. كما أن أجدير كانت مركزا للمقاومة و تم اعلانها عاصمة فى اطار الاستراتيجية الحربية آنذاك، و أعتقد أن الأمير لم يكن ينوي جعلها عاصمة أبدية لأن طموحه كان هو تحرير شمال افريقيا كلها من الاستعمار، فقد كان مؤمنا بأن الاستعمار الحقيقى هو الاستعمار الفرنسى و ليس الاسبانى، الذى كبده المجاهدون الريفيون أشد الهزائم.

و هذه مناسبة كىؤكد على أنه من جملة الأغلاط الاستراتيجية التى ارتكبها الأمير، بقاءه فى الجبال فقط. فقد كان لزاما عليه أن يدخل تطوان و مليلية، اللتان كانتا مدينتين استراتيجيتين فى



تلك الفترة بالنسبة للاستعمار الاسباني، إضافة لمدينة طنجة التي كان الصحفيون الدوليون المتعاطفون مع حركة المقاومة الريفية، يلحون عليه لدخولها نظرا لأهميتها الاستراتيجية كم منطقة دولية، تتواجد بها مختلف التمثيليات الدبلوماسية آنذاك.

16- حضرتم فعاليات تخليد الذكرى 50 لرحيل المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي التي نظمتها جمعية "أمازيغ صنهاجة الريف" و "الجمعية الأمازيغية لمساندة الشعب الفلسطيني" بجماعة آيت احمد إموكزن بمنطقة صنهاجة سراير يوم 10 فبراير 2013. هل يمكن لكم أن تصفوا لنا خصوصيات الاحتفال بهذه المناسبة في هذه المنطقة المنسية، و ما هي الخلاصات التي خرجتم بها؟

لقد كانت تجربة جديدة و فريدة من نوعها، جعلتني أعيد النظر في أفكاري و معلوماتي. فهذه هي المرة الأولى التي أزور فيها منطقة صنهاجة سراير حيث كنت أمر عليها مرور الكرام و انا قادم من تطوان للحسيمة (أي أمر عبر إسالكث و تاراكثيست) . فمن جهة، تعرفت على إخوان لنا ساكنين في قلب جبال الريف يقبعون في التهميش و النسيان، فالآن أصبح لدي إلمام لا بأس به عن واقع صنهاجة اسراير. و من جهة أخرى، تعرفت على الأماكن التي جرت فيها آخر معارك المقاومة الريفية، و مكان استشهاد موح أزداذ قرب موقع سيدي مسكين (بين آي بونصار و آيت احمد)، كما أننا زرنا مقر المحكمة الشرعية لمحمد بن عبد الكريم الخطابي بتاراكثيست (مدشر تشايف) التي لم يبق منها أي أثر و ترحمنا على روح شهداء الوطن الحقيقيين الذين ضحوا من أجل الحرية و الكرامة. في نظري فهذا هو الاحتفال الحقيقي بالذكرى 50 لرحيل محمد بن عبد الكريم الخطابي.



الصورة 1: رفقة احمد المرابط قرب بقايا المحكمة الشرعية بتركيسست بمناسبة الاحتفال بالذكرى 50 لرحيل الخطابي

17- وصفتم بني احمد إموكزن ب "طورابورا الريف" أثناء حضوركم لندوة "دور قبائل صنهاجة سراير في حرب الريف التحريرية" بمناسبة تخليد الذكرى 50 لرحيل المير الخطابي. هل الوضع كارثي إلى هذا الحد في منطقة صنهاجة سراير؟

الأمر أكثر من كارثي، لكنه عادي. لأن أغلب مناطق المغرب مهمشة و منسية، خصوصا المغرب العميق، و بالضبط المناطق المقاومة التي جاهدت ضد الاستعمار و قاومت و عارضت سياسة المخزن الاستبدادية. فباستثناء المغرب النافع و بعض شوارع الرباط و الدار البيضاء،



فجل المغرب يعاني من نقص في البنيات التحتية، و أنت كنت معي في يوليوز 2012 عندما زرنا الجنوب الشرقي للمغرب (منطقة تافيلالت) لتأسيس رابطة إيمازيغن من اجل فلسطين بتتغير، و شاهدت مدى التهميش الذي تعاني منه هذه المنطقة المجاهدة أيضا. أنا أرى أن صنهاجة سراير أخذت نصيبها من التهميش الذي أغدق به المخزن على كل المناطق التي انتفضت ضده.

18- أتذكر أنكم خلال الندوة التي أطرتموها في بني احمد إموكزن بمناسبة الذكرى 50 لرحيل الخطابي، قلتم "لو أن الخطابي اتخذ من جبال صنهاجة سراير مركزا للمقاومة لما انهزم أمام الاستعمار". ماذا قصدتم بقولتكم هذه؟

اقصد أن الجبال الشاهقة التي رأيتموها في صنهاجة سراير قاسية جدا، و تكون أقسى بكثير على الاستعمار من المواطنين الذين تكيفوا مع هذه الطرق و الجبال الوعرة. فالمقاومة في الجبال كانت ستساعد المجاهدين على دحر الاستعمار لأن المتحكم في الميدان الجغرافي يفوز بنصف المعركة.



الصورة 2: رفقة أحمد المراتب خلال الندوة المنظمة بمناسبة الذكرى 50 لرحيل الخطابي بآيت احمد إمكزن



## 19- قبيلة تاغزوت الصنهاجية بالريف معروفة بصناعتها التقليدية و صناعة الأسلحة، التي كانت تقدمها كضريبة للمخزن في الماضي. هل ساهمت هذه القبيلة في مد المقاومة الريفية في عهد الخطابي بالسلاح؟

لا أستطيع ان اجزم في الامر، فتاغزوت معروفة بصناعتها التقليدية الضاربة في القدم. لكن اعتقد ان الصانعين المحليين لم يكن باستطاعتهم تسليح المجاهدين نظرا لكثرة عددهم، فمنهج الامير كان يتمثل في وجوب نزع السلاح من العدو، لغايتين: امتلاك السلاح و تعطيل العدو عن عمله. و لذلك فالمقاتلين في الريف تزودوا من دهار اويران و اغريين و انوال . لكن هذا لا يمكن أن ينفي امكانية مساهمة تاغزوت في تصنيع السلاح، و إن كان قليلا مقارنة مع ما غنمه المجاهدون من المعارك.



الصورة 3: رفقة أحمد المرباط خلال الندوة المنظمة بمناسبة الذكرى 50 لرحيل الخطابي بآيث احمد إمكزن



20- مؤخرا اطلعت على معطيات ميدانية تفيد بأن قبائل صنهاجة سراير تعرضت خلال أحداث الريف 1958-1959 لحصار من طرف الجيش المغربي، و منعت أسواقها من الانعقاد، حيث سمي ذلك العام في صنهاجة سراير ب"عام وُذرار" (عام الجبل)، لان الصنهاجيين فروا خلاله للجبال من أجل الاحتماء من بطش العسكر، وهذا دليل على أن القمع لم يطل قبيلة بني ورياغل وحدها. لهذا فنحن نتساءل دوما عن سبب تقديم قبيلة "بني ورياغل" كضحية وحيدة لكل مصيبة تصيب أهل الريف عموما؟

أعتقد أن الأمر راجع لكون جل من رسموا تاريخ الريف الحديث ينحدرون من قبيلة بني ورياغل، و أيضا لكون هذه القبيلة قد واجهت "المخزن" بكل جرأة و حدة، و استطاع أبناؤها أن يتحدوا فيما بينهم مستغلين تلك الحماية القبلية المعروفة لدى بني ورياغل عند مواجهة الغرباء عن القبيلة، فتاريخيا أبناء القبيلة يتناحرون فيما بينهم لكنهم يتحدون بسرعة عند مواجهة خطر خارجي. كما أن أغلب النشاط و الباحثين في الميدان ينحدرون من هذه القبيلة، لذلك يطغى الطابع القبلي الورياغلي على أحداث الريف ككل. لكن الحقيقة التاريخية تقول بأن قبيلة بني ورياغل كانت تتكامل مع جملة من القبائل الريفية، و هذا ما صنع تاريخ المنطقة منذ بداية القرن 20م.

21- يقال بأن حزب الاستقلال هو المسؤول الأول عن احداث الريف 58-59. حاليا استطاع هذا الحزب أن يسيطر على جزء مهم من منطقة صنهاجة سراير، مستغلا جهل السكان و خوفهم من المخزن بسبب زراعتهم للكيف. كيف تفسرون تحول أغلب الصنهاجيين بالريف من مقاومين و مجاهدين لا يخافون الموت خلال حرب الريف التحريرية إلى سكان يخافون من المخزن و يهابونه؟



سأكون واضحاً، فحزب الاستقلال لم يكن بعيداً عن القصر، و الاختطافات التي قام بها في شمال المغرب كانت بتأمر مع المخزن، حيث تم تعذيب و قتل العديد من أحرار هذا الوطن في مخافر ومعتقلات سرية شمال المغرب ك: كهف لارينكون في طريق تطوان سبتة، عزبة بضواحي تركيست، المعهد الديني بالحسيمة، دار حارس الغابة بالحسيمة، أجدير حيث كانت دائرة قبيلة آيث ورياغل، أريعاء تاويريت في إدارة آيث بوعياش، عزبة بسفح جبل أزغنغان بضواحي الناظور، دار قرب قرية زاو، كهف ببويكور بقبيلة مطالسة، تيزي وسلي حيث كان مركز جيش التحرير، عين باردة بضواحي وزان، جنان بريشة بتطوان... في نظري لو كانت الدولة تريد المصالحة و التكفير عن جرائمها، لاعتذر حزب الاستقلال و النظام عما فعلاه بالشعب عادة ما يسمى بالاستقلال.

أما بالنسبة لسيطرة حزب الاستقلال على جزء من صنهاجة سراير، فهذا راجع لتغلغل "المخزن" في هذه المنطقة، حيث استطاع أن يستعبد سكانها عن طريق السماح لهم بزراعة الكيف التي يجرمها بنفسه قانونياً، فالنظام استغل هذا الوضع لصالحه من أجل تدجين الساكنة، و قد ساهم في ذلك حزب الاستقلال أيضاً فهو التلميذ النجيب للمخزن.

22- لعب محمد بن علي الخمليشي المدعو بالسليطن، دوراً هاماً في المقاومة الريفية مباشرة بعد استسلام الخطابي بتاركيست، كما انه تزعم انتفاضة الريف سنة 1958-1959 بمنطقة صنهاجة سراير. ماذا يمكنك أن تقول في حق هذا الشخص؟

"السليطن" بطل صنهاجي كبير، فقد قاد آخر معارك المقاومة الريفية، بعد استسلام محمد بن عبد الكريم الخطابي، التي دارت رحاها في صنهاجة سراير إلى غاية 1927، حيث كبدت كتيبة سليطن الاسبان خسائر فادحة في تاغزوت قبل أن يفر إلى المنطقة الفرنسية. في سنة 1940 عاد



سليطن الى المنطقة الخليفية حيث عينته اسبانيا قائدا بتاركيست إلى غاية 1952، لكن بعد اندلاع انتفاضة الريف 1958-1959 قام سليطن بتفجير بعض القنابل في الإدارات الاستقلالية بتركيست وانتفضت جماهير المنطقة ضد طغيان حزب الاستقلال، وأصبح محمد سليطن و محمد سلام أمزيان زعماء المنطقة، إلى أن تم إلقاء القبض عليه وإيداعه السجن حيث مات أو تمت تصفيته من قبل الجيش المغربي. أنا أعتبره بطلا حقيقيا.

23- خلال سنوات الرصاص سجنتم بدرب مولاي الشريف. ما هي حيثيات اعتقالك؟ و هل كان معك معتقلون ينحدرون من قبائل صنهاجة سراير؟

طبعاً أخذت حقي من "بركة" المخزن، وهو بالنسبة لي تاريخ قد مضى لكنه يتجلى لي دائما. فانا لما القي علي القبض اتهمت بسبعة تهم، من جملتها حمل السلاح، تكوين جمعية في الخارج تهدف للاطاحة بالنظام، العلاقة مع الفقيه البصري، و لكنهم كانوا يركزون كثيرا على صداقتي مع د. عمر الخطابي. لان عمر الخطابي لما حوكم في القنيطرة بالمحكمة العسكرية لم يثبت في حقه اي شيء و لذلك سيتم تبرئته. فاحتج العسكر على ذلك و قالوا لماذا توظفوننا لاستقدام الاشخاص و تعذيبهم و بعد ذلك تخلون سبيلهم و تحكمون عليهم بالبراءة؟ و لكي يأخذوا بخاطر البوليس تم استقدام الخطابي من الثكنة العسكرية بالقنيطرة الى درب مولاي الشريف بتهمة الاشتراك مع المرباط في تهمة اخرى.

لقد تم اعتقالي سنة 1972 و أمضيت ثمانية أشهر في معتقل درب مولاي الشريف، و قد رأيت هناك شابا من تاغزوت تم تعذيبه تعذيبا شديدا و قد تغير شكله من قساوة التعذيب، و اتذكر انه كنا صائمين في رمضان و كانوا يقدمون لنا الحريرة وقت الافطار، غير ان الشاب الصنهاجي امتنع فسألوه لماذا فاجاب بكل عفوية "انتم قمتم بإفطاري قبل آذان المغرب" (يضحك احمد المرباط)، و كانت تهمة هي حمل السلاح، و بعدها تم استقدام 60 صنهاجيا آخر من تاغزوت.



24- جل الصنهاجيين بالريف يلامسون نفحة من العنصرية عند احتكاكهم بإخوانهم الورياغليين على الخصوص، و بالريفيين عموما (نقصد هنا الريف الاثني: بقبوة، بني ورياغل، تمسمان، بني توزين.....)، هل كانت هذه العنصرية حاضرة أيام المقاومة في عهد مولاي موحد؟ و من المسؤول عن تفشيها وسط المجتمع الريفي في نظركم؟

أعتقد أن العامل الأساسي لتفشي هذه الظاهرة هو الجهل. فالأمير الخطابي في مسيرته النضالية كان يجمع المجاهدين في كل مساء على درس للسيرة النبوية و إلقاء محاضرات لتعريف المجاهدين بالعلاقات الاجتماعية في الإسلام (احترام حرمة النساء و أملاك الغير...). كان يقوم بدور تربوي و تعليمي لأنه في تلك الحقبة كانت منطقة الريف تعيش ما يسمى السبية (الريفويليك). و قد استطاع أن يبث روحا جديدة خلقت إنسانا جديدا فحقق قطيعة مع الماضي، فالعائلات التي كانت تتقاتل فيما بينها بالأمس أصبحت تجلس جنبا إلى جنب في خندق واحد لمقاتلة العدو.

فهذه السخافات المنتشرة الان من قبيل هذا من القبيلة الفلانية و الآخر من القبيلة العلانية اعتقد ان سببها واضح، فالمخزن يساهم في هذه التفرقة العنصرية بعد أن قام الاسبان بنشر العنصرية من أجل تشتيت وحدة القبائل الريفية، حيث سار الموقعون على وثيقة ايكس لبيان في نفس المنوال، لتعم التفرقة و العنصرية جل المغرب مستمدين فكرهم من مقولة فرق تسد.



25- بسبب هذه العنصرية تخلى العديد من الصنهاجيين عن انتماءهم للريف و فضلوا الهجرة لتطاون، العرائش، طنجة، فاس، الدار البيضاء، الرباط، مكناس... عوض الاستقرار بالحسيمة التي تعتبر مركز الإقليم الذي ينتمون إليه. فعندما يأتون للحسيمة يوصفون بـجباله و عندما يذهبون للمدن الأخرى ينعنون بروافة، في حين أنهم صنهاجيون إثنيا و ريفيون اجتماعيا و جغرافيا. ألا تعتقدون بأنه حان الوقت لتصحيح المعطيات و إعادة ربط العلاقات، بين مختلف مكونات الريف القبليّة من أجل مستقبل أفضل للأجيال القادمة؟

بدون شك يجب نبذ هذه العنصرية التي تتم عن انغلاق ذلك المجتمع، و جهل أصحابه بتاريخ الريف المكتوب بتضاهر مختلف الثقافات. فـسكان الريف القدامى هم غمارة، جاء بعدهم صنهاجة، قبل أن يستقر الزناتيون قادمين إليه من الشرق. كما ان قبيلة بني ورياغل بالرغم من كونها تتحدث الامازيغية الريفية الزناتية فهي من أصول صنهاجية، و قد تأثرت لغويا بالزناتية لأنها جاءت على الحدود مع القبائل الزناتية التي يفصلها واد نكور عن القبائل الصنهاجية.

26- قبائل صنهاجة سراير معروفة بزراعتها للقمح الهندي (الكيف)، لكن السكان و المنطقة لم يحصدوا سوى التهميش. أين يكمن الخلل في نظركم؟

الدولة هي المسؤولة عن تهميش منطقة صنهاجة سراير، فهي لم تقدم أي شيء لسكان المنطقة، بل شجعتهم على التعاطي لزراعة الكيف الذي جرمته قانونيا من أجل التحكم في رقابهم، حيث سلطت عليهم السياسيين و بارونات المخدرات من أجل تغيير نمط عيش الصنهاجيين، الذين كانوا معروفين بتدينهم و تآزرهم ليصبحوا الان يعيشون في تناحر بينهم، حيث انتشرت أمراض اجتماعية عديدة داخل المجتمع الصنهاجي، ساهمت في تفرقة أبناء المدشر الواحد، فما بالك بأبناء القبيلة أو كنفدرالية صنهاجة سراير على العموم.



27- مجموعة من الشباب ينتمون لصنهاجة سراير أسسوا يوم 29 ماي 2012 جمعية بتركيبت تسمى "أمازيغ صنهاجة الريف" تهدف للدفاع عن ثقافة و هوية و أمازيغية صنهاجة بالريف و الدفاع عن مصالح الصنهاجيين، كما انها ساهمت في إبراز مدى التهميش الذي تعاني منه المنطقة و أعادت ربط العلاقة التاريخية بين الصنهاجيين و إخوانهم في الريف. ما هي النصيحة التي تقدمها لهؤلاء الشباب؟

في الحقيقة أود أن أحيي من خلال هذا المنبر هؤلاء الشباب الذين يضحون بوقتهم و مجهودهم من أجل الدفاع عن حقوق ساكنة منطقة صنهاجة سراير. فالعديد من المتتبعين، و أنا واحد منهم، أشادوا بأنشطة الجمعية التي استطاعت أن تنفض الغبار عن تاريخ المنطقة و تراثها الأمازيغي الغني، كما أنها ساهمت في إيصال معاناة مزارعي الكيف البسطاء، الذين يتم استغلالهم من طرف بارونات المخدرات و المنتخبين و بعض رجال السلطة. لا يسعني سوى أن أدعو لهم بمسيرة موفقة بإذن الله.

28- في الختام نترك لكم المجال لقول كلمة أخيرة للمجلة و قرائها.

في الحقيقة تجربة مجلة "تيدغين" للأبحاث الأمازيغية و التنمية هي فريدة من نوعها في منطقة الريف، و هي بادرة جيدة تفتح آفاقا جديدة لسبر أغوار التاريخ الجزئي لقبائل صنهاجة سراير. و بهذه المناسبة أشجع القائمين على المجلة و أدعوهم للاستمرار في مقاومة الصعوبات من أجل أن تبقى هذه المجلة لسان حال قبائل صنهاجة سراير التي أراد البعض ان يحوها من الوجود. في الأخير أتمنى لكم التوفيق و النجاح ان شاء الله.